PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2023) 60(2): 677-688
ISSN: 1553-6939

The historical hero in Algerian children's literature

Critical perspective

PHD, Mehadi Mounir[1]

[1]Mohamed Lamine Debaghine University of Setif 2 (Algeria), Faculty of literature and languages, Narratives and Cultural System Laboratory.

Received: 02/2023 Published: 06/2023

Email Author: m.mehadi@univ-setif2.dz

Abstract:

The historical reference is one of the most important references on which literature in general and childhood literature in particular, with its diversity in events and personalities, and the educational value it carries rooted in time, where the character of the historical hero plays a pivotal role in making and crystallizing the exemplary image of the Algerian child, especially as it It is closely related to its distant and near past, which instills in itself a love of the homeland and a love of everything related to this homeland. There is no doubt that the employment of the historical hero in children's literature did not take a single appearance, and this is due to the different purposes for which he was employed, so this intervention seeks to trace the transformations of the presence of the historical hero in Algerian children's literature through some literature in this field.

Keywords: Children's literature, writing, revolution, history.

PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2023) 60(2): 677-688
ISSN: 1553-6939

البطل التاريخي في أدب الطفل الجزائري –منظور نقدي

منير مهادي[1].

[1]جامعة محمد لمين دباغين سطيف2 (الجزائر)، كلية الآداب واللغات، مخبر السرديات والأنساق الثقافية.

ملخص:

تعدّ المرجعية التاريخية من أهم المرجعيات التي ينهض عليها الأدب عموما وأدب الطفولة خصوصا، بما توفّره من تنوّع في الأحداث والشخصيات، وبما تحمله من شحنة قيمية تربوية متجذّرة في الزمن، حيث تؤدّي شخصية البطل التاريخي دورا محوريا في صناعة وبلورة الصورة الأنموذجية للطفل الجزائري، خاصة وأنّها ترتبط ارتباطا وثيقا بماضيه البعيد والقريب، مما يزرع في نفسه حب الوطن وحب كل ما له صلة بهذا الوطن. ومما لا شكّ فيه أنّ توظيف البطل التاريخي في أدب الطفل لم يأخذ مظهرا واحدا، وهذا لاختلاف الغايات التي وظّف من أجلها، لذلك تسعى هذه المداخلة إلى تتبّع تحوّلات حضور البطل التاريخي في أدب الطفل الجزائري من خلال بعض المؤلفات في هذا المجال.

كلمات مفتاحية: أدب الطفل، الكتابة، الثورة، التاريخ.

مقدمة:

يطرح موضوع التاريخ سؤال الهوية بامتياز، وذلك من خلال ربطنا بتاريخ الثورة الجزائرية المجيدة، متوسّلا في هذا بأداة فاعلة في التكوين الثقافي الإنساني، ألا وهي "الأدب"؛ من حيث هو لغةٌ تركّز على وظيفتها الجمالية والمرجعية وتُسهم في تجسيد القيم والمحافظة عليها، ولكنّ الأدب المقصود في هذا السياق ليس هو الأدب الذي كثيرا ما نتلذذ–نحن الكبارَ– بقراءته والكتابة حوله، بل إنّه أدب قائم بذاته، له أهله وخاصّتُه، ألا وهو أدب "الأطفال/الطفل/الطفولة" "litterature of children"، إنّه أدب كُتب للأطفال ومن أجلهم، فهو يلتحم التحاما بعالمهم، ويقترب اقترابا شديدا من أسلوب حياتهم وطرائق تعبيرهم. كما أنّه يفتح لهم باب التخييل مُشرعًا لتنمية التفكير الإبداعي لديهم، ولكنّه يصنع أيضا روابط قويةً بواقعهم وتاريخهم.

وفي هذا المقام، تعدّ المرجعية التاريخية من أهم المرجعيات التي ينهض عليها الأدب عموما وأدب الطفولة خصوصا، بما توفّره من تنوّع في الأحداث والشخصيات، وبما تحمله من شحنة قيمية تربوية متجذّرة في الزمن، حيث تؤدّي شخصية البطل التاريخي دورا محوريا في صناعة وبلورة الصورة الأنموذجية للطفل الجزائري، خاصة وأنّها ترتبط ارتباطا وثيقا بماضيه البعيد والقريب، مما يزرع في نفسه حب الوطن وحب كل ما له صلة بهذا الوطن. ومما لا شكّ فيه أنّ توظيف البطل التاريخي في أدب الطفل لم يأخذ مظهرا واحدا، وهذا لاختلاف الوسائل والغايات التي

وظّف من أجلها، لذلك تسعى هذه المداخلة إلى تتبّع تحوّلات حضور البطل التاريخي في أدب الطفل الجزائري من خلال بعض المؤلفات في هذا المجال.

أولا: الكتابة والطفولة

لا شك من أنّ الكتابة فعل حضاري يكشف عن إنسانية الإنسان وعن مطمح الخلود لديه، فهي فعلُ تجاوز قبل أن تكون فعلَ تسجيل وتدوين، كما أنّها تعمل على إعادة ترميز الواقع الخارجي ليأخذ هيئة نصية فنية، وقد كان لهذا الفعل أثره البالغ في صناعة التميّز البشري والدفع به نحو الاكتشاف والاختراع. وهي بالنسبة للأطفال منبّه بصري وعقلي ينجم عنه رد فعل محدّد حسب درجة الوعي التي يملكها كل طفل، خاصة وأنّ المرحلة العمرية للطفولة تتباين بين الباحثين، فهناك تضارب حاصل في تحديد السن النهائية للطفولة، فقد ذهب بها البعض إلى ما بعد سن المراهقة، لأن ذلك مرتبط بشروط الكتابة للطفل وخصوصية أدبه، والنصوص التي نُعنى بها هي تلك التي بإمكانها تحقيق التفاعل من خلال فعل القراءة والتواصل مع مختلف القصص المكتوبة، ومحاورتها وتفسيرها وتأويلها حسب مراحل نمو الطفل المعنية بهذا الفعل، ويحدد أغلب الباحثين لكل مرحلة من مراحل نمو الطفل علامات دالة عليها، فحسب " Jérôme Bruner جيروم برونر" الأطفال يمرون بثلاث مراحل في سعيهم لاكتساب القدرة على تمثيل العالم[1]، وفكّ الكثير من رموزه وهذه المراحل متداخلة فيما بينها ومتميزة عن بعضها في الآن نفسه، وهي على النحو التالي: **المرحلة الحسية** "ما بين 2 إلى 6 سنوات" و**مرحلة الأيقنة** " ما بين 7 إلى 11 سنة" **ومرحلة التمثيل الرمزي** " ما بين 12 إلى 15 سنة".**وهذه الفئة الأخيرة هي التي تنفتح أمامها العوالم الواقعية والمتخيّلة فتتفاعل معها تفاعلا إيجابيا يجعل من عملية نقل وتعليم القيم وترسيخها أمرا ممكنا ما دامت هناك إرادة راعية لحصول ذلك.**

إنّ **الكتابة هي ملاذ الإنسان الذي يحتمي به من عالم النسيان والدمار الذي يحيط به، ولكنّه في المقابل يظلّ ملاذا مخيفا مادام قد يسهم هو نفسه في ترسيخ النسيان وتوطيد أركانه، وهاهنا تطلّ إشكالية الواقعي والخيالي برأسها، فتغدو الكتابة إذ ذاك سلاحا ذو حدّيْن، فهي تعطي قدرَ ما تأخذ، وهذا الذي يحدثُ في فعل الكتابة الأدبية عموما، وفي فعل الكتابة للطفولة خصوصا**، ويرجعُ ذلك، فيما يرجع إليه، إلى خصوصية المرحلة السنيّة للطفل، كما ذكرنا من قبل، وإلى طبيعة الوعي والمدركات العقلية التي يملكها. لهذا كانت الكتابة، كما وصفها الدكتور "**عبد الملك مرتاض**"، "جمالا مذابا على قرطاس، وسرا متدفّقا على صفحة ورق، وعالما صامتا، وفضاء عجائبيا تفكّ رموزه ومغاليقه بفعل القراءة الواعية الجيّدة، الخبيرة المتسلّحة بأدوات منهجية مضبوطة"[2].

[1]- سامي محمد ملحم، علم نفس النمو دورة حياة الإنسان، دار الفكر، عمان، ط1. 2004 . ص 135.

[2]- عبد الملك مرتاض، الكتابة من موقع العدم، ص ص 165، 166.

ومع ذلك، **يظلّ السؤال عن ماهية الكتابة– الطفلية خاصة– سؤالا مشروعا ومفتوحا، وهذا إلى جانب أسئلة من مثل : لماذا نكتب؟ ولمن نكتب؟ كونها أسئلةً تقع في صميم الحفر الذي يجب أن يقام به لمجابهة هذا النوع من النصوص**، وهذه الأسئلة "**السارترية**" تقرّر أنّ العمل الأدبي هو بمثابة خدروف لا يتحقّق وجوده إلاّ بفعل القراءة، "ويتكوّن هذا الفعل من جملة افتراضات وآمال وخيبات وأحلام، تعقبُها يقظات...فالوعي القارئ عند شروعه في القراءة يتوقّع وينتظر، يتوقّع نهاية الجملة والصفحات التالية وينتظر أن تتأكّد هذه التوقّعات أو تخيب"[3]. وذلك فيما سمّاه "**رولان بارت**" "**الكتابة الحياد**"، حيث تتيه ذاتنا الفاعلة في التأليف، لأنّ **الكتابة** هي "**السواد–البياض الذي تضيع فيه كلّ هويّة ابتداءً من هويّة الجسد الذي يكتب**"[4]. ولعلّه مع الكتابة للطفولة يحدث تخفّفٌ من عبء التيه والضياع الذي يسكنها تسليما بمبدأ الفروق الحاصلة بين عالم الصغار وعالم الكبار.

ثانيا: التاريخ وأدب الطفولة

يجمع معظم الدارسين على أنّ **أدب الأطفال القائم اليوم** هو **أدب مستحدث**، "وفرع جديد من فروع الأدب الرفيعة يمتلك خصائص تميّزه عن أدب" الكبار" رغم أنّ كلا منهما يمثل آثارا فنية يتّحد فيها الشكل والمضمون ... وإذا أريد بأدب الأطفال كل ما يقال إليهم بقصد توجيههم فإنّه قديم قدم التاريخ البشري، حيث وجدت الطفولة، أما إذا كان المقصود به ذلك اللون الفني الجديد الذي يلتزم بضوابط نفسية واجتماعية وتربوية، ويستعين بوسائل الثقافة الحديثة في الوصول إلى الأطفال ، فإنّه – في هذه الحالة –ما يزال من أحدث الفنون الأدبية"[5].

ولهذا كان "**أدب الأطفال في مجموعه، هو الآثار الفنية التي تصور أفكارا وإحساسات وأخيلة تتّفق ومدارك الأطفال وتتّخذ أشكال : القصة، والشعر والمسرحية، والمقالة، والأغنية**"[6].

وغير بعيد عن هذين التعريفين يحدد الدكتور" **أحمد زلط** "مفهوما لأدب الأطفال مفاده أنّ "أدب الطفولة نوع أدبي متجدد في أدب أيّ لغة، وفي أدب لغتنا هو ذلك النوع الأدبي المستحدث من جنس أدب الكبار (شعره ونثره وإرثه الشفاهي والكتابي)، فهو نوع أخص من جنس يتوجه لمرحلة الطفولة، بحيث يراعي المبدع المستويات اللغوية والإدراكية للطفل، تأليفا طازجا أو إعادة بالمعالجة من إرث سائر الأنواع الأدبية المقدّمة له ومن ثم يرقى

[3]– رشيد بنحدو، العلاقة بين القارئ والنص في التفكير الأدبي المعاصر، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع1، 2، 1994، ص474.

[4]– رولان بارت، درس السيميولوجيا، ص81.

[5]– هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال ، فلسفته، فنونه، وسائطه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق ، 1977، ص71 .

[6]– هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال، ص72.

بلغتهم وخيالاتهم ومعارفهم واندماجهم مع الحياة ,بهدف التعلق بالأدب وفنونه لتحقيق الوظائف التربوية والأخلاقية والفنية والجمالية"[7].

ولا يختلف أدب الأطفال "عن أدب الكبار أو الأدب الرفيع في شيء، فهو فن مادته اللغة، وطبيعته التخيّل، يتجسد في أنساق وممارسات فنية منسوخة من الأجناس الأدبية المألوفة، وبالتالي فهو يندرج ضمن مفهوم الأدب عموما من حيث المادة والطبيعة والأنساق الفنية، غير أن أدب الأطفال يتميز عن أدب الراشدين في مراعاته حاجات الطفل وقدراته، وخضوعه لفلسفة الكبار في تثقيف أطفالهم الأمر الذي يجعل العملية الإبداعية لا تسير وفق البعد أو النظام نفسه الذي تتبعه في أدب الكبار، مما يجعل الكاتب لا يسعى إلى جذب المتلقي إلى منظوره –كما هو الشأن مع الكبار –وإنما يسعى إلى تبسيط منظوره مضمونا وشكلا لكي يتلاءم مع المتلقي الطفل...وعليه، فإنّ أدب الأطفال يتميز بنوعية جمهوره وطبيعته، الأمر الذي يجعل الفرق بينه وبين أدب الكبار يقوم على خصوصية المتلقي أساسا، وعلى مراعاة أدب الأطفال واهتماماتهم، وقدراتهم العقلية واللغوية والذوقية "[8].

ويعرفه الدكتور "**إسماعيل عبد الفتاح** بأنّه "ذلك الجنس الأدبي المتجدّد، الذي نشأ ليخاطب عقلية الصغار، ولإدراك شريحة عمرية لها حجمها العددي الهائل في صفوف أيّ مجتمع ... فهو أدب مرحلة متدرجة من حياة الكائن البشري، لها خصوصيتها، وعقلانيتها، وإدراكها وأساليب تثقيفها أي في ضوء مفهوم التربية المتكاملة التي تستعين بمجالي الشعر والنثر، بما يحقق المتعة والفائدة لهذا اللون الأدبي الموجه للأطفال. ولهذا أشار مصطلح أدب الأطفال إلى ذلك الأدب الموروث، وأدب الحاضر، وأدب المستقبل، لأنه أدب موجه إلى مرحلة عمرية طويلة من عمر الإنسان[9].

أكّد الدكتور "**العيد جلولي**"، وهو يتحدّث عن مصادر أدب الطفل، **أنّ بين أدب الأطفال والتراث علاقة قوية تظهر في كل الآداب وعند جميع الشعوب والأمم**، ففي بداية تشكل هذا الأدب في العصر الحديث كان التراث هو المصدر الأساسي في الكتابة للأطفال، فمنه استلهم الكتاب في أوروبا عشرات القصص، نذكر منهم تشارلز بيرو (Charles Perrault) (1628-1703) الذي اقتبس من التراث قصة " حكايات ماما الأوزة " وفرنسيس أوزبورن (Francis Osborne) الذي كتب عام 1656 قصة " وصية لابن " مستفيدا من التراث ، ومنهم روبرت سامبر (Robert Samber) الذي ترجم سنة 1719 " حكايات ماما الأوزة " لتشارلز بيرو ومنهم أيضا هانز كريستيان أندرسون (Christian Anderson) Hans الذي يعد بحق رائد أدب الأطفال في أوروبا الذي نهل

[7]– أحمد زلط ، أدب الطفولة بين كامل الكيلاني ومحمد الهراوي – دار المعارف ، مصر ، 1994 م ،ص30 .

[8]– عبد المجيد حنون :أدب الأطفال والأدب المقارن، مجلة العلوم الإنسانية، عدد خاص، فعاليات الملتقى الأول لأدب الطفل، سوق أهراس، أيام 15/14/13 .ماي، 2003 م، ص 14.

[9]– إسماعيل عبد الفتاح ، أدب الأطفال في العالم المعاصر – مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، يناير 2000 من ص22، 23 .

من التراث مجموعات قصصية عديدة وغيرهم من الكتاب[10]. ويعود هذا للعلاقة المتينة بين أدب الأطفال والتراث، **فالتراث تعبير عن طفولة البشرية، وترجمة لتفكير المجتمعات الأولى**، لهذا عُدَّ التراث من أهم الينابيع التي رفدت هذا الأدب بمادة ثرية غنية لا تنضب، فقد أتاح التراث للأدباء أن يقتبسوا منه ما يشاؤون من الأشكال والموضوعات[11].

والتركيز على هذا التراث سيسمح بتحقيق جملة من المقاصد والأهداف نذكر منها ما يلي :

1- تعريف الأطفال بتراثهم، وببعض جوانب تاريخهم خصوصا في عهود الازدهار ليشب على التمسك بماضيه .

2- تقديم البطولات العربية من أجل غرس قيم الشجاعة في نفوس الأطفال .

3- تعميق الانتماء القومي العربي الإسلامي لدى الأطفال عن طريق الحكايات المستلهمة من هذا التراث مما يدعم التمسك بالهوية القومية .

4- تنمية الخيال لدى الأطفال، وربطهم بالماضي وتعريفهم بمشاهير العلماء والأدباء[12].

إنّ المتتبّع للقصة المكتوبة للأطفال في الجزائر يلاحظ ذلك الارتباط الوثيق بالتراث حتى اعتقد البعض أنّ قصص الأطفال ليس لها من المصادر التي تنهل منها سوى التراث وهذا لغلبته وطغيانه وكثرة توظيفه في هذا الأدب، وقد تنوعت مصادر هذا التراث وتداخلت الأمر الذي دفعنا إلى تصنيف المادة التراثية التي استقى منها الكتاب مادتهم إلى :

1- مصادر تراثية أدبية.

2- مصادر تراثية تاريخية.

3- مصادر تراثية دينية .

4- مصادر تراثية شعبية[13].

ثالثا: القصص التاريخية الجزائرية

اشتملت قصص الأطفال في الجزائر على موضوعات لها صلة بأحداث التاريخ وشخصيات أبطاله، والمحطات الكبرى فيه، في سعي منها لربط الطفل بماضيه وأصالته وتاريخه، وهذه القصص ليست تأريخا بل قصص يوجد فيها من التاريخ كما يوجد فيها من الخيال والتصور، وبعض الشخصيات غير التاريخية دون التزوير في حقائقه.

وقد تناولت قصص الأطفال في الجزائر التاريخ الإسلامي وعظماءه، وتاريخ الدولة الإسلامية، وخلفاءها الراشدين، والملوك والفاتحين، ومالت كثيرا إلى التاريخ فأرّخت للأحداث وأبطالها مبتعدة بذلك عما يسمى فنا

---

[10]- العيد جلولي، النص الأدبي للأطفال في الجزائر، دار هومة ، الجزائر، 2003، ص 13

[11]- المرجع نفسه، ص ن.

[12]- إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الأدب الإسلامي للأطفال، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1 ، 1997 ، ص58.

[13]- مقال العيد جلولي، حضور التراث في أدب الطفل الجزائري. ضمن الموقع
https//djellouli.blogspot.com/ ?m=1

قصصيا. كما توجّهت إلى التاريخ الجزائري القديم وهي قصص قديمة كسلسلة أبطال نوميديا "لعبد الحق سعودي ؛ التي نشرتها مكتبة رحاب ودارت موضوعاتها حول" أغاتو" قائد النوميديين، و"ماسينيسا "و"يوغورطا "والأمازيغ في التاريخ. أما الموضوعات المتعلّقة بالفتح الإسلامي للجزائر، وتاريخ الجزائر إلى ما قبل الثورة يكاد لا يوجد له ذكر في قصص الأطفال، إلا في القليل النادر، كقصة "رايس حميدو" "لعباس كبير بن يوسف "، أو قصة" الأمير عبد القادر مفاوض محنك "، أو "الأمير عبد القادر رائد المقاومة" " لمصطفى رمضان " وهي قصص تكاد تتقيد بالحقائق التاريخية، ومن ثمة فإنه يمكن إدراجها أيضا ضمن السرد التعليمي والتحصيل التاريخي.

أما عن موضوع **الثورة التحريرية " فإنّنا لا نكاد نعثر فيه إلا على قصص قليلة تناولت أحداثها وسجلت وقائعها، وأبرز من عالج أحداث الثورة التحريرية الجزائرية"... محمد الصالح الصديق" في مجموعته القصصية "عميروش وقصص ثورية" وتميل هذه القصص إلى التفصيل التاريخي، وتغوص في تقديم العبر والحقائق التاريخية؛ مما يقربها إلى القصص التعليمي**[14].

والدارس للقصة الجزائرية المكتوبة للأطفال يجدها لم تستثمر هذا المصدر كما ينبغي رغم ما في التاريخ الجزائري من أحداث ووقائع تصلح أن تكون مادة فعالة لعشرات القصص. وما يقال عن التاريخ الجزائري يقال أيضا عن التاريخ العربي والإسلامي. ومن القصص القليلة التي استلهمت حوادثها من التاريخ نذكر على سبيل المثال القصص التالية: قصة " عميروش وقصص ثورية " لمحمد الصالح الصديق وقصة "شجرة الانتقام " للجيلالي العوامر، وقصة " صغار ولكنهم مجاهدون " لعبد الوهاب حقي، وقصة " البطل الصغير" لعبد العزيز بوشفيرات، وقصة " معركة الثكنة " لأحمد الطيب معاش وسلسلة "مغامرات هشام " لمولود مسخر، وقصة " ما أقرب فرج الله " لأبي إلياس، وقصة " رايس حميدوا " لعباس كبير بن يوسف، و"سلسلة أبطال نوميديا " لعبد الحق سعودي، وقصة " الأمير عبد القادر مفاوض محنك " وقصة " الأمير عبد القادر رائد مقاومة " وقصة " الأمير عبد القادر" والظروف القاسية " وقصة " الأمير عبد القادر ونماذج من معاركه " وكلها لمصطفى رمضان. وسلسلة " من أعلام الجهاد الإسلامي لأحمد بوخطة ، وقصة " أسياد البحر " و "أساطير تلمسان المحاصرة " لمحمد سهيل ديب ، وسلسلة " شخصيات من تاريخنا " لعبد العزيز بوشفيرات، وغيرها من القصص[15] .

رابعا: البطل التاريخي وإشكالية التحوّل

إنّه من الضروري أن تتوافق الشخصيات والنموذج الذي يرسمه الطفل لها وعنها، فكلما "كان التشخيص خاضعا لقواعد كيفيات تصوير الأشياء؛ كان ذلك أكثر إقناعا للطفل وكان علامة من علامات القصة الجيدة. والمهم في ذلك أيضا أن تكون الشخصية واقعية في حقيقتها ووهميتها وقابلة للتصور، واحتمال ما تقوم به من خلال توفير منطق

[14]– العيد جلولي :النص الأدبي للأطفال في الجزائر .ص71.

[15]– مقال العيد جلولي، حضور التراث في أدب الطفل الجزائري. ضمن الموقع
https//djellouli.blogspot.com/ ?m=1

يجعلها ممكنة الوجود، وذلك ما يقوي رغبة الطفل على متابعتها وحبها، والرغبة في مشاركتها أفعالها وأقوالها، وحركاتها وسكناتها، وذلك" عن طريق وصف أفكارها، وبيان أفكار الآخرين عنها بواسطة ما تقوم به من أحداث داخل القصة[16]".هذا الذي يجعل منها أكثر التصاقا بالكيان النفسي للطفل وعالمه.

يقع التحوّل الذي نقصده ههنا على مستويين اثنين:

تحوّل فني يعكس كيفية تنزّل صورة البطل ممثلا في شخص "الإمام عبد الحميد بن باديس أو أحمد زبانة..." أو غيرهما ليصبح جزء من فضاء الطفولة.

وتحوّل حدثي يرتبط بعالم البطل وأشيائه والأحداث التي رافقته.

والمشكلة التي يعاني منها أدب الطفل الجزائري، حسب ما أرى، هي أنّ التحوّلات الحاصلة فيه إنّما هي تحوّلات أفقية فقط، هذا الذي لم يخدمه كثيرا، بالمقارنة مع ما حدث على مستوى قرينه الغربي، لذلك كان من الضروري أن نجعل تلك التحوّلات تحدث على المستوى العمودي حتى يقوم بدوره المنوط به في غرس الهوية التاريخية في نفسية الطفل، حتى لا نعلن ضرورة ردّ النموذج الغربي للبطل دون تقديم بدائل عن ذلك النموذج.

إنّ التحوّل بالمفهوم السيميائي هو علامة تحيل إلى أخرى نتيجة انحراف سردي قوي، وبالتالي لا يمكن أن نتصوّر تعديلا في بنية الشخصية، لأنّ مشروع الشخصية البطل– كما قال بارت في كتابه امبراطورية العلامة– يعتمد على بنية طبائعية وخلقية محدّدة تسمى التوصيف البنيوي للشخصية، ولقد أحال إلى ذلك "فيليب هامون" حينما قسّم الشخصية إلى ثلاثة مستويات:

–الشخصية الدالة.

– الشخصية المرجعية.

– الشخصية الإشارية.

ومنه فإنّ مراجعتنا لمفهوم البطل لا يكون على مستوى التحديد الفيزيولوجي لها، لأنّ أيّ تغيير فيها سيعمّق جرح الشخصية ذاتها. وبالتالي فالتحويل كضرورة نصية يمكنها أن تتلاءم مع بنية الطفل لا يتمّ بحال من الأحوال على هذا المستوى وإنّما على مستوى الأحداث المختلفة التي ارتبطت بالشخصية ورافقتها. هنا يحدث فعل التغذية في مساحة التخييل الأدبي الخاصة بالطفل، ليس فقط في إيهام الطفل بالعجائبية والخوارقية في سلوك الشخصية بقدر ما يكون في إنطاق عالم الأشياء الذي يؤثّث فضاء الشخصية ذاتها.

لذلك نجد شخصية "الإمام عبد الحمد بن باديس" تحتفظ في المخيّلة بنفس البنية الطبائعية، لذلك لا يجب إخراجها من جلدها حتى نقدّم للطفل، لأنّه ليس ضروريا أن نقع في التهريج لنرضي أذواق الطفل، فلا يجب أن نضع تصوّرا مغلوطا عن ممكنات الوعي لبنية الطفل، وهنا يحصل التركيز على عالم الإمام الشيخ لإيجاد مبرّرات التخييل. كما أنّنا نجد أنّ صورة الإمام في العادة تأثّرت بعوامل النحت التاريخية، أو طبقات التحويل المختلفة:

[16]– علي الحديدي، في أدب الأطفال .ص127.

1- الشيخ الواقعي في سياق ظرف تاريخي

2- الشيخ بعد الاستقلال خضع لعوامل نحت أو تقديم انحرفت عن القاعدة الأساسية، حيث قدّمه الإسلاميون على أنّه سلفي متزمّت، كما قدّمه الليبراليون على أنّه صورة حيّة عن المسلم الجزائري ....وهكذا.

وهذا التحويل حصل على مستوى المشاريع السياسية الكبرى في الجزائر: النموذج الاشتراكي والنموذج المنفتح" إسلامي ولبرالي" والنموذج الهووي الجزائري الذي يركّز على عدم ضرورة انتماء الشيخ لتيار معيّن. ما أردت قوله إذن هو أنّ التحويل يخضع ولا شك لهذه العوامل الكثيرة للنحت، فلا يجب أن نقتص من لحية الإمام أو عروبيته أو أمازيغيته ...لنقول عنه أنّ مناسب للأطفال، ومنه علينا إنطاق عوالم الشيخ وأحداثه، فننطق مثلا محبرته لتخبرنا عن الإمام وحبّه للعلم وشغفه بالكتابة والتأليف، أو نحرّك برنوسه ليحدّثنا مثلا عن تمسّك صاحبه بالعادات والتقاليد الجزائرية الإسلامية...وهكذا، وهذا للأسف الشديد ما لم نجده في النماذج المختارة " عبد الحميد بن باديس لرابح عدالة ضمن سلسلة أبطال بلادي، ومحمد بلوزداد لمحمد ياسي ضمن سلسلة الشهداء الخالدين، وجميلات الجزائر لمحمد ياسي ضمن السلسلة نفسها"، والتي اكتفت بعرض بيوغرافي لسيرتهم وبعض وقائعهم وتعلمهم ومعاركهم ضدّ العدو، وتكاد تخلو في مجموعها من "التخييل الأدبي" الذي يمكنه إذا ما وظّف توظيفا صحيحا في ترسيخ شخصية البطولة التاريخية الجزائرية في نفوس أطفالنا. ومع ذلك وجب التوكيد على أمر هام وهو أنّ أدب الطفل أدب وظيفي وليس جماليا في الدرجة الأولى. فالبطل التاريخي وغير التاريخي هو في جوهره واحد لأنّه أدب يبني هوية الطفل، وذلك من خلال تحويل البطل بصفاته لا بذاته، وهذا استنادا إلى مبدأ "التناوب" في فهم بول ريكور، بين ما يقدّمه المؤرّخ وما يقدّمه القاص، فما يتركه الأوّل يكمله الثاني والعكس صحيح، وهذا ما يؤسّس لما يسمى بـ"الهوية السردية"، حيث يحكي كل شعب/بطل هويّته؛ والتي هي نسق تواصلي من الثقافة والممارسات التي لها خط متواصل لا يخرج فيها الشعب عن تلك الهوية، بحيث تنخرط كل الفنون والمعارف في كل هذا. لذلك قال"بول فيين" بأنّه " ليس التاريخ وقائع وليس التاريخ معيارا هندسيا ولكنّه حبكات روائية "[17].

خاتمة:

يظهر لنا في نهاية هذا البحث أنّ موضوع حضور البطل التاريخي في أدب الطفل عموما وفي أدب الطفل على مستوى الجزائر مازال يستحق منا مقاربات جديدة ومغايرة للإمساك بالأبعاد المختلفة لحضور هذا البطل التاريخي رمزيا ودلاليا في مختلف النتاج الأدبي للأطفال، أضف إلى هذا، ضرورة

[17]- بول فيين، أزمة المعرفة التاريخية، فوكو وثورة في المنهج، دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1998، ص61.

الانتباه إلى قيمة التاريخي في الأدبي، وكيف يمكنه أن يسهم في بناء شخصية الطفل خاصة في المراحل السنية الأولى من حياته، في سبيل بناء هوية قيمية لأطفالنا تمكنهم من مجابهة تحديات الحياة.

ولعلّ أهمّ ما يمكن أن نشير إليه في هذا السياق:

- ارتباط أدب الأطفال في الجزائر بالتراث المادي وغير المادي.
- تنوّع مصادر مادة الكتّاب في أدب الأطفال.
- تناوب التخييلي والواقعي في النصوص القصصية تحديدا.
- للبطل، في الغالب، صورة نمطية لما هو شائع ومتداول وليس فيها إبداع حقيقي.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: الكتب

- إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الأدب الإسلامي للأطفال، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1 ، 1997.
- بول فيين، أزمة المعرفة التاريخية، فوكو وثورة في المنهج، دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1998.
- سامي محمد ملحم، علم نفس النمو دورة حياة الإنسان، دار الفكر، عمان، ط1. 2004.
- عبد الملك مرتاض، الكتابة من موقع العدم، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط1، 1999.
- رولان بارت، درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال، المغرب، ط3، 1993.
- هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال، فلسفته، فنونه، وسائطه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق ، 1977.
- أحمد زلط، أدب الطفولة بين كامل الكيلاني ومحمد الهراوي – دار المعارف، مصر ، 1994 .
- إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر – مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، ط1 ، يناير2000 .

- العيد جلولي، النص الأدبي للأطفال في الجزائر، دار هومة ، الجزائر، 2003.

ثانيا: المقالات

- بنحدو رشيد، 1994، العلاقة بين القارئ والنص في التفكير الأدبي المعاصر، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع1، 2.

ثالثا: المداخلات

- عبد المجيد حنون :أدب الأطفال والأدب المقارن، مجلة العلوم الإنسانية، عدد خاص، فعاليات الملتقى الأول لأدب الطفل، سوق أهراس، أيام *15/14/13* .ماي، *2003* م.

ثالثا: مواقع الشبكية

- مقال العيد جلولي، حضور التراث في أدب الطفل الجزائري. ضمن الموقع: https//djellouli.blogspot.com/ ?m=1 بتاريخ سبتمبر 2016.